# الباب الأول

# التأليف الصرفى وعلاقته بالأصوات : صفاتها ومخارجها عند ابن دريد الأزدي

obeikandl.com

obeikandl.com

# الفصل الأول

# حالة الأصوات مفردة وعلاقتها بقضية السهولة والشيوع

obeikandl.com

obeikandl.com

**تنوع حديث ابن دريد في هذه القضية حيث أشار إلى ما يلي :**

**1-** أخف الحروف وأحسنها امتزاجا بغيرها .

**2-** أقوى الحروف وألينها .

**3-** أصعب الحروف .

**4-** أكثر الحروف استعمالا وأقلها في الاستعمال .

وسوف نفصل القول كما يلي :

**1- أخف الحروف وأحسنها امتزاجا بغيرها :**

يعد صاحب الجمهرة صفتي الذلاقة والإصمات في الحروف على رأس الصفات يتضح ذلك من تقسيمه الرئيس للحروف على نوعين " مذلقة ومصمتة " [1] ، ثم يتحدث عن دور كل منهما في التأليف الصرفى فيقول :

" أما المذلقة من الحروف فهى ستة ولها جنسان جنس الشفة وهى ( الفاء والميم والباء ... والجنس الثانى من المذلقة بين أسلة اللسان إلي مقدم الغار الأعلى وهى ( الراء والنون واللام ) ... وسمعت الأشناندانى يقول : سمعت االأخفش يقول : ( المذلقة ) لأن عملها من طرف اللسان ، وطرف كل شيء ذلقه وهى أخف الحروف وأحسنها امتزاجا بغيرها ، وسميت الأخر ( مصمتة )لأنها أصمتت أن تختص بالبناء إذا كثرت حروفه لاعتياصها على اللسان " [2] .

فأصوات ( فر من لب ) تعد عند صاحب الجمهرة من أخف الحروف وأحسنها امتزاجا بغيرها ، ومن ثم كان لابد لها أن تشارك في البناء الكثير الحروف الأكثر من الثلاثى ، يقول صاحب الجمهرة :

" ألا ترى أنك لا تجد بناءً رباعياً مصمت الحروف لا مزاج له من حروف الذلاقة إلا بناء يجعل بالسين وهو قليلَ جداً مثل عسجد ... فأما الخماسى مثل فرزدق وسفرجل وشمردل فإنك لست تجد واحدة إلا بحرف أو حرفين من حروف الذلاقة من مخرج الشفتين أو أسلة اللسان ، فإن جاءك بناءَ

(1) جمهرة اللغة 44/1 .
(2) جمهرة اللغة 1 / 45.

يخالف ما رسمته لك مثل دعشق وضعثج وحضافج وصفعهج ، أو مثل عقجش وشعفج فإنه ليس من كلام العرب فارددده فإن قوما يفتعلون هذه الأسماء بالحروف المصمتة ولا يمزجونها بحروف الذلاقة ، فلا يقبل ذلك كما لا يقبل من الشعر المستقيم الأجزاء إلا ما وافق ما بنته العرب من العروض الذى أساس على شعر الجاهلية "[1].

ومن هنا نجد أن ابن دريد يرى قلة ما جاء من الرباعى بدون الحروف الذلقية وانعدام ما جاء من الخماسى بدونها ، ويأتى بألفاظ مصمتة الحروف وهدفه من ذلك أن يرينا كيف كان نطق هذه الكلمات ثقيلاً للغاية وما جاء منها مرفوض لأنه أتى من طريقين :

1 – ليس من كلام العرب .

2 – قد يفتعل قوم هذه الأسماء لغاية ما .

ويرى صاحب الجمهرة أن البناء الثلاثى والثنائى لاغبار عليه في ذلك حيث يقول : " وأما الثلاثى من الأسماء والثنائى فقد يجوز بالحروف المصمتة بلا مزاج من حروف الذلاقة مثل خدع وهو حسن لفصل ما بين الخاء والعين بالدال ، وإن قلبت الحروف قبح ، فعلى هذا القياس فألف ما جاءك منه وتدبر فإنه أكثر من أن يحصى "[2].

وهذا يدلنا على أن ابن دريد يربط بين طول البنية وصفات حروفها مفردة ، فكلما طالت بنية الكلمة أو كثرت حروفها احتاجت لجهد أكبر ، يخفف من هذا الجهد أن يأتى من مكوناتها صوت أو أكثر من الأصوات الخفيفة سهلة النطق يكون عملها في مناطق حرة الحركة في جهاز النطق " طرف اللسان والشفتين " حتى لا يكون البناء كله من حروف " أصمتت أن تختص بالبناء إذا كثرت حروفه لاعتياصها على اللسان " [3] وقلة حريته في الحركة لبعد هذه الحروف عن المناطق الطرفية . .

(1) جمهرة اللغة 1 / 49 .
(2) جمهرة اللغة 1 / 49 .
(3) جمهرة اللغة 1 / 45 .

لذلك فصاحب الجمهرة يكشف عن مبدأ هام من مبادئ النطق وهو أنه كلما اقتربنا من خارج الجهاز النطقى سهل نطق الأصوات ، والعكس صحيح فكلما اقتربنا من الداخل صعب نطق الأصوات.

وقد يعترض البعض على تعميم مصطلح " مذلقة " الذى جاء به صاحب الجمهرة على الأصوات الستة " فر من لب " على اعتبار أن ذلق اللسان يعد مخرج ثلاثة منها فقط ( ل ن ر ) ، ونحن نرى أن ابن دريد قد خلط القول في ذلك بين المخرج والصفة كما يلى :

– نص ابن دريد على تقسيم " المذلقة من الحروف " إلي جنسين أى مخرجين ، نفهم من ذلك أنه لا يقصد بالمذلقة هنا المخرج بل يقصد الانطلاق في النطق لكنه عاد وقال : " مذلقة لأن عملها في طرف اللسان وطرف كل شيء ذلقه وهى أخف الحروف وأحسنها امتزاجا بغيرها".

وفى قوله هذا خلط بين المخرج " طرف اللسان " والذى يختص بثلاثة أصوات فقط ( ل ن ر ) وبين الصفة " أخف الحروف " والتى تختص بالأصوات الستة جميعا ( فر من لب ) . لذلك وجدنا د . عبد الصبور شاهين يفرق بين مصطلحين " ذولقى " و " ذلاقة " فيقول : " وليس من نافلة القول أن نذكر هنا أن مصطلح " ذولقى " يعنى موضعا معينا من اللسان هو حده وطرفه ، أما مصطلح " ذلاقة " فيعنى صفة اللسان بالفصاحة والانطلاق ، يقال لسانَ طُلَقٌ ذُلُقٌ أى فصيح بليغ ... إذن فكلمة ( ذلاقة ) لا تعنى مخرجا من مخارج الأصوات أو صفة من صفاتها " [1].

ويتفق ما سبق مع ما ذكره د . إبراهيم أنيس الذى يقول " ويبدو أن كلمة " الذلاقة " هنا لا تعنى أكثر من معناها الشائع المألوف وهو القدرة على الانطلاق في الكلام بالعربية دون تعثر أو تلعثم فذلاقة اللسان كما نعلم جودة نطقه وانطلاقه في أثناء الكلام ، ولما كانت هذه الحروف الستة هى أكثر

(1) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د.عبد الصبور شاهين 353 .



obeikandi.com

الحروف شيوعا في الكلام العربى أطلق عليها حروف الذلاقة دون النظر إلي مخارجها أو صفاتها أو أى ناحية من نواحى الدراسة الصوتية " [1].

ولم يكن صاحب الجمهرة أول من أشار إلي " الذلاقة و الإصمات " بل سبقه إلي ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدى ( ت175 هـ ) ، لكن الخليل لم يقع في الخلط المشار إليه حيث قال : "اعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة وهى ( ر ل ن ) ، وإنما سميت هذه الحروف ذلقا لأن الذلاقة في المنطق إنما هى بطرف أسلة اللسان والشفتين ، وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة منها ثلاثة ذلقية : ر ل ن تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم ، وثلاثة شفوية : ف ب م مخرجها من بين الشفتين خاصة ... " [2].

وفى حديثه عن بقية الحروف لم يطلق الخليل عليها مصطلح " مصمتة " وإنما ذكر عنها مصطلح " الصتم " ، وإن كان الأزهرى قد ذكر أن الخليل قد قسم الحروف الصحاح على نحوين : مذلق ومصمت ، قال الخليل :" وأما سائر الحروف [ عدا الذلق والشفوية ] فإنها ارتفعت فجرت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا من عند مخرج التاء إلى مخرج الشين بين الغار الأعلى وبين ظهر اللسان ليس للسان فيهن عمل أكثر من تحريك الطبقتين بهن ، ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء واللام والنون " [3] .

وتشابه ما ذكره صاحب الجمهرة مع ما ذكره صاحب العين في شأن البناء الرباعى والخماسى مع الحروف الستة ، إلا أن صاحب الجمهرة قد اختلف عن الخليل في قصره ورود الرباعى بدون أحد الحروف الستة على السين فقط أما الخليل فقد تعددت عنده الحروف .

كذلك يصف الخليل الحروف الستة بأنها سهلة في المنطق تكثر في البناء كثير الحروف ، ويقول : " فلما ذلقت الحروف الستة ومذل بهن اللسان وسهلت عليه في المنطق كثرت في أبنية الكلام ، فليس شيءٌ من بناء الخماسى التام يعرى منها أو من بعضها ، فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة

(1) الأصوات اللغوية د 0 إبراهيم أنيس 110 - 111 .
(2) العين للخليل بن احمد 1 / 57 .
(3) العين 1 / 57 – 58 .

من حروف الذلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب ، لأنك لست واجداً من يسمع في كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد'' أو اثنان أو أكثر "[1] .

أما عن الكلمات ذات البناء الرباعى ولم تشتمل على أحد الحروف الذلق عند الخليل فقد اشتملت على السين وغيرها يقول : " وأما البناء الرباعى المنبسط فإن الجمهور الأعظم لا يعرى من الحروف الذلق أو من بعضها إلا كلمات نحواً من عشر- جئن شواذ ومن هذه الكلمات : العسجد والقسطوس والقداحس والدعشوقة والدهدعة والزهزقة ... " [2] كذلك " دهداق " [3].

ويدلنا الخلاف بين ابن دريد والخليل على شيء هام هو أن صاحب الجمهرة كان صادقاً عندما ذكر أنه لم ينقل مباشرة عن الكتب الأخرى – خاصة العين –في تأليفه للجمهرة وإنما أملاه إملاءً من حفظه .

وجاء من بعد ابن دريد من اتفق معه أو نقل عنه ، حيث يأتى الأزهرى . " (ت 370هـ ) ليصف لنا الحروف الستة فيقول عن مخرجيها : " فهاتان المدرجتان هما موضعا الذلاقة وحروفها أخف الحروف في المنطق وأكثرها في الكلام وأحسنها في البناء " [4].

كذلك ينقل السيوطى ( ت 911 هـ ) جميع أقوال ابن دريد في هذا الباب وينفرد بقوله : " ويخص ما فوق الثلاثى كثرة اشتماله على حروف الذلاقة لتجبر خفتها ما فيه من الثقل ، وأكثر ما تقع الحروف الثقيلة فيما فوق الثلاثى مفصولا بينها بحرف خفيف ،وأكثر ما تقع أولا وأخراً وربما قصد بها تشنيع الكلمة لذم أوغيره"[5].

(1) العين 1 / 58 .
(2) العين للخليل 1 / 59 .
(3) العين 1 / 60
(4) تهذيب اللغة للأزهرى 1 / 50 .
(5) المزهر للسيوطى 1 / 198 .

ويستفيد ابن جنى (ت 392 هـ ) كثيرا من ابن دريد والخليل معا فيقول متأثرا بما سبق : " وفى هذه الحروف الستة سر طريف ينتفع به في اللغة وذلك أنك متى رأيت اسما رباعياً أو خماسيا غير ذى زوائد فلا بد فيه من حرف من الحروف الستة أو حرفين وربما كان فيه ثلاثة ... فمتى وجدت كلمة رباعية أو خماسية معراة من بعض هذه الأحرف الستة فاقض بأنه دخيل في كلام العرب وليس منه ، ولذلك سميت الحروف غير هذه الستة مصمتة أى صمت عنها أن تبنى منها كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة ، وربما جاء بعض ذوات الأربعة معرى من بعض هذه الستة وهو قليل جداً منه العسجد والعسطوس ، والدهدقة ، والزهزقة "[1] .

ومما لا شك فيه أن الخليل هو صاحب مصطلحى ( ذلاقة وإصمات) حتى وإن وجدنا مصطلح " الصتم " في العين يدلنا على ذلك ما ذكره ابن دريد نفسه من أنه سمع المصطلحين من الأشناندانى عن الأخفش ، والأخفش كان تلميذاً للخليل ، ولابد أنه سمعه منه .

ومما لاشك فيه أيضا أن وجه الشبه واضح جداً بين ما ذكره كل من الخليل وابن دريد وما ذكره ابن جنى عن الذلاقة والإصمات مما يدل على وقوع ابن جنى على ما كتبه الخليل وابن دريد وتأثره بهما ، وونحن نذكر هذا اعتراضا على ما ذكره بعض الباحثين من نسبة هذين المصطلحين لابن جنى .

وفى ذلك يقول د . محمد فتيح : " ذكر ابن جنى صفات تتعلق بما إذا كانت الحروف المتصفة بها كثيرة الشيوع أو نادرة الشيوع ...وقد قسم ابن جنى الحروف إلى حروف الذلاقة والحروف المصمتة"[2].

وينفى د . إبراهيم أنيس صراحة نسبة هذه المصطلحات للخليل وينسبها لابن جنى يقول : " ويبدو أن ابن جنى حين لاحظ كثرة شيوع هذه الأصوات [ ل ر ن ف ب م ] في اللغة العربية بحيث لا

(1) سر الصناعة لابن جنى 1 / 74-75 .
(2) مبادئ علم الأصوات العام د 0 محمد فتيح 283 يتصرف .

تكاد تخلو منها كلمة رباعية أو خماسية في أصولها ، وضع لها هذه التسمية واعتبر غيرها من الحروف مصمتة لأنه صمت عنها -كما يقول- أن تبنى منها كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة "[1].

وفى سياق هذا الحديث يقول : " نستطيع أن نقرر بعد هذا ونحن مطمئنون أن هذه المصطلحات قد ظهرت في أوائل القرن الرابع الهجرى في وقت احتدام فيه النقاش بين العلماء حول كتاب العين ونسبته إلي الخليل ... المسئول إذن عن نشأة هذه المصطلحات هو كتاب العين الذى شاع شأنه في القرن الرابع الهجرى أياً كان مؤلفه ولكن الذى لا يحتمل النزاع أو الشك أن نسبة هذه المصطلحات للخليل نسبة غير صحيحة وإلا فقد كنا نتوقع أن نجد لها صدى في كلام سيبويه "[2].

وولنا أن نتساءل : إذا كان كتاب العين هو المسئول عن نشأة هذه المصطلحات – كما يقول د . أنيس – فكيف لا ننسب هذه المصطلحات إلي صاحبة إذن ؟ ! كذلك هل من الضرورى أن ينقل أو يتأثر سيبويه وهو النحوى المتميز أيضا حتى نجزم بأن هذه المصطلحات صاحبها الخليل ؟ ! أولا يكفى دليلا أن ابن دريد وهو سابق على ابن جنى ذكر تلك المصطلحات في الجمهرة ؟! .

***

**بين صاحب الجمهرة والمعاصرين :**

تركز حديث ابن دريد في مجال أخف الحروف وأحسنها امتزاجا بغيرها وهى الأصوات الستة (فرمن لب) على عدة نقاط :

**1-** خفة هذه الأصوات وسهولتها في المنطق .

**2-** البنية الطويلة للكلمة سبب من أسباب ثقلها لذا تحتاج لأصوات خاصة تخفف الثقل .

**3-** هذه الأصوات وجودها جائز في الثنائى والثلاثى وضرورى في الرباعى والخماسى ومن ثم فهى كثيرة الشيوع في البنية العربية .

---

(1) الأصوات اللغوية د 0 إبراهيم أنيس 110 .
(2) الأصوات اللغوية د0 أنيس 112 .

والدراسات الحديثة تؤيد كل ما جاء به ابن دريد تأييداً كاملاً فمن ناحية خفة هذه الأصوات وسهولتها في النطق فإن أربعة منها وهى ( م ل ن ر ) تمثل مجموعة من الأصوات يطلق علها المعاصرون الأصوات المائعة أو السائلة Liquida ، ويشبهونها بأصوات اللين من حيث كثرة ورودها في البنية العربية ووضوحها في السمع حيث إنها جميعا مجهورة .

ويضاف إلى ذلك أنها مجموعة متقاربة المخرج والصفة ، لذا يقع فيها الإبدال كثيراً ، وهى أيضا تمثل مرحلة وسطى في صفات الأصوات فلا هى احتاجت سدة محكمة تماماً أمام تيار الهواء فتحتاج إلى اعتماد قوى مجهد لجهاز النطق ، ولا هى تراخت تماما أمام الهواء فصارت كالمعلقة ، وخير الأمور الوسط! لذا نجد أن اللغة العربية تؤثر ترديد الأصوات المتوسطة أكثر من غيرها .

ومن ناحية أخرى فإن الدرس الصوتى الحديث يرى أن " الأصوات المرتبطة بالمخارج الأمامية ..... أكثر الأصوات شيوعاً لسهولة هذه المخارج بالمقارنة مع المخارج الخلفية .... بسبب قربها من طرف اللسان الذى تسهل ملامسته للمخارج السلبية المرتبطة بهذه الأصوات أو اقترابه منها"[1] وهو ما ينطبق على تلك الأصوات .

ويرجع المعاصرون أسباب عسر النطق بالحروف إلى سببين " : الجهد العضلى وهو مشترك بين جميع اللغات مثل الهمزة في العربية والقاف وأحرف الإطباق ، والثانى قلة الشيوع "[2] ، وهذان السببان ينتفيان تماماً مع الأصوات الستة المذكورة .

وتسعى اللغة إلى إحداث التوازن في أصواتها ونرى أن من هذا التوازن حسن توزيع المخارج داخل بنية الكلمة ، وكلما زادت الأصوات داخل البنية كانت أدعى لذلك ، ومن هنا لم يكن هناك بد من أن توجد هذه الأصوات الخفيفة سهلة النطق في البناء الرباعى والخماسى في اللغة العربية التى تمتاز عن غيرها من اللغات بأنها لغة القرآن الكريم رب الفصاحة ؛ هذه الأصوات تعادل ثقل ما يجاورها من

(1) مبادئ علم الأصوات العام ، ديفيد أبركرومبى 257 .
(2) موسيقى الشعر : د.إبراهيم أنيس 28 - 31 بتصرف .

أصوات أخرى ؛ ليحدث التوازن المطلوب وبصفة عامة ، وبشكل ملحوظ عند المعاصرين " مال اللغويون إلى مبدأ الجهد الأقل على أنه واحد من المبادئ البارزة في تطوير اللغات والميل إلى الأيسر- فونيميا ، وثمة أمثلة كثيرة لميل اللغات نحو الأبسط والأسهل من ذلك :

**1-** ارتباط طول الكلمات بكثرة ترددها ارتباطاً عكسياً .

**2-** ميل اللغات إلى تقصير الكلمات التى يكثر ترددها .

**3-** ميل اللغات إلى تفضيل الكلمة القصيرة على مرادفتها الطويلة .

**4 -** وجود تلازم عكسى بين حجم الفونيم أو درجة تركيبه وبين تردده في الاستعمال باعتبار أن الفونيم مجموعة من أشكال النشاط في أعضاء الكلام المختلفة" .

ولقد أدرك ابن دريد ذلك عندما قرر أن الأصول الثلاثية أكثر من الرباعية والرباعية أكثر من الخماسية[1]. لأن الثقل مرتبط بالطول "ومن البديهى أن الكلمات التى تجتمع فيها حروف كثيرة تحتاج إلى جهد عضلى أكبر من ذلك الجهد الذى يبذل في كلمة أقل منها عدداً في الحروف "[2].

ولما كانت اللغة العربية تميل إلى الخفة واليسر فمن الملاحظ أن " الكثرة الغالبة من ألفاظها مكونة من ثلاثة أو أربعة أحرف وأن القلة المستعملة هى ما تزيد على ذلك "[3].

ولقد ربط البلاغيون بين طول الكلمة وبين فصاحتها لكنهم اختلفوا في ذلك حيث " يرى الخفاجى أن طول اللفظة عن المعتاد يؤدى إلى ثقلها ومجها وضرب أمثلة لذلك منها قول المتنبى : ( كامل )

**إن الكريم بلا كرام منهم  مثل القلوب بلا سويداواتها**

(1) الجمهرة 1 / 43 .
(2) علم الفصاحة العربية د 0 محمد على رزق الخفاجى 233 0
(3) علم الفصاحة العربية 234 .



obeikandi.com

فـ " سويداواتها " كلمة طويلة جداً وقد أدى هذا إلى قبحها ، وتعقبه ابن الأثير في ذلك مبيناً أن قبح هذه اللفظة لم يكن بسبب طولها وإنما لأنها في نفسها قبيحة وقد كانت وهى مفردة حسنة فلما جمعت قبحت لا بسبب الطول .

" ولو كان طول اللفظة مما يوجب قبحها لقبحت الألفاظ الطويلة الواقعة في القرآن الكريم ، كقوله تعالى : ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ البقرة 137 – وقوله تعالى : ﴿ليستخلفنهم في الأرض ﴾ النور : 55 ، ولكنها غاية في الحسن مع أنها لا تقل طولا عن الكلمة المذكورة ، كما أنه لو أسقط من " سويداواتها " الهاء والألف وهما عوض عن الإضافة لبقى منها ثمانية أحرف ومع هذا تظل قبيحة .

" ويخلص ابن الأثير من ذلك إلى أنه لا عبرة بطول الكلمة وقصرها ، وإنما العبرة بتأليف الكلمة من حروف ثقيلة أو خفيفة على اللسان ، ومن ثم يجب اجتناب الألفاظ المؤلفة من حروف يثقل النطق بها ، سواء كانت طويلة أم قصيرة "[1].

ورغم الخلاف بين ابن الأثير وابن سنان الخفاجى فإن الثقل في الكلمة قد يرجع إلى طولها ، أو إلى حروفها الثقيلة أو كلاهما معا ولقد تضمن حديث ابن دريد كلا المعنيين . كذلك يلاحظ أن الألفاظ القرآنية الطويلة التى استشهد ابن الأثير بها تحتوى على أصوات مستحسنة كما سنرى فيما بعد ، وأصوات ذلقية أيضا .

والطول في الكلمة ينقسم على قسمين " تارة يكون بأصل الوضع وتارة تكون الكلمة متوسطة فتطيلها الصلة وغيرها "[2] ويلاحظ أن النوع الثانى وقتى لا يلزم جميع حالات الكلمة ، أما النوع الأول فهو الأهم لأنه يلازم بنية الكلمة بحكم أصالة وضعه وعليه دار حديث ابن دريد .

ولقد دار حديث ابن دريد حول شيوع أصوات الذلاقة الستة في البنية العربية بحيث إنها تأتى في البناء الرباعى والخماسى وجوبا ، مع وجود أبنية رباعية قد خلت من الأصوات الستة لكنها قليلة

(1) دراسات تحليلية للفصاحة والبلاغة والإسناد د. الشحات أبو ستيت 34 - 35 .
(2) المزهر للسيوطى 1 / 200 بتصرف .

جدا ، ووضحت الدراسات الحديثة والتى استخدمت فيها وسائل إحصائية متقدمة مثل الكمبيوتر صدق ما ذهب إليه ابن دريد " من حيث توارد أصوات الذلاقة في الأبنية الرباعية والخماسية من جانب ووجود أبنية رباعية تخلو منها من جانب ثان ، وعدم وجود بناء خماسى لا يحتوى على صوت ذلقى من جانب ثالث "[1].

وتكشف هذه الإحصاءات الحديثة عن تفسير لما ذهب إليه صاحب الجمهرة " وذلك أن خمسة من هذه الأصوات الستة تمثل أشيع الأصوات ترددا في الكلام العربى ثم تأتى الفاء بعد الدال والعين في كثرة التردد في معجم الصحاح ... وفى معجم تاج العروس تأتى الأصوات ( ر ن م ل ب ) في مجموعة التردد العالى ثم الفاء في مجموعة التردد المتوسط "[2] .

وهكذا نجد أن ملاحظة ابن دريد والتى تؤيدها نتائج إحصاء الجذور العربية ثلاثية أو رباعية أو خماسية تعتمد على أساس ركين من خصائص البنية العربية " ذلك أن هذه الحروف باستثناء الفاء أكثر الحروف تردداً في الجذور بعامة وأقواها تردداً في الثلاثى الراء فالنون فالميم فاللام والباء، وأقواها تردداً في الرباعى الراء فاللام ثم الباء فالميم فالنون ، وأقواها تردداً في الخماسى النون فالراء فاللام فالباء فالميم "[3] .

وأشار ابن دريد إلى أن عدم وجود هذه الأصوات الستة في الأبنية الرباعية والخماسية يدل على عجمتها لكنه لم يشر إلى العكس من ذلك " فإذا كان عدم وجود هذه الأصوات في تلك الأبنية يميز عروبتها وعجمتها فإن وجودها لا يجعل الكلمة عربية بالضرورة ، إذ اتضح من خلال استقراء الأبنية الرباعية والخماسية وجود أبنية تشتمل على صوت أو صوتين أو ثلاثة ذلقية ومع ذلك فهى دخيلة من لغات أخرى مثل الفارسية والسريانية والرومية والحبشية ووجود هذه الأصوات يعد من السمات

(1) أصوات الذلاقة وأثرها في المعجم العربى د.محمد عبد الوهاب شحاته 41 .
(2) كثرة الاستعمال وأثرها في اللغة نظراً وتطبيقاً د.فريد عوض حيدر 37 - 38 .
(3) التعريب في القديم والحديث د.محمد حسن عبد العزيز 64 .

المشتركة بين اللغات السامية ويوضح البحث اللغوى المعاصر أن أصوات الذلاقة من أبرز هذه السمات "[1].

ومجمل القول تستطيع قاعدة ابن دريد أن تنفى النسب للعربية لكنها لا تستطيع أن تثبته [2]، بمعنى أنه إذا استطاع ابن دريد أن يستغل عدم وجود هذه الأصوات الستة في كلمة ليثبت أن الكلمة غير عربية فإنه لا يستطيع أن يستغل وجودها لإثبات أنها عربية لا غير ، ومن ثم فإنه لم يكن يملك إلا أن يقول: " فإذا جاءتك كلمة مبنية من حروف لا تؤلف العرب مثلها عرفت موضع الدخل منها فرددتها غير هائب لها "[3].

وتميز الخليل بإدراك هذه الحقيقة وهى وجود أبنية أعجمية بها حروف ذلقية إلى أقوام من العجم " ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنت"[4] .

ولم تكن حروف الذلاقة فقط عند ابن دريد هى الحروف المستحسنة ، بل أشار ابن دريد إلى مجموعة أخرى من الحروف وصفها بأنها أخف الحروف فقال " أخف هذه الحروف كلها ما استعملته العرب في أصول أبنيتهم من الزوائد "[5].

وهو يقصد بذلك حروف الزيادة المجموعة في الكلمة ( سألتمونيها ) وإذا تأملنا تلك الحروف وجدنا ما يلى:

- بها ثلاثة أصوات ذلقية وهى ل م ن وسبق الحديث عنها .

- بها أصوات المد الثلاثة ( واى ) وهى أصوات كثيرة الشيوع في العربية ومن ثم ارتبطت بالخفة " فنسبة ورود أصوات اللين وشيوعها في الكلام كبيرة جدا "[1].

---

(1) أصوات الذلاقة وأثرها في المعجم العربى 44 .
(2) من أمثلة ذلك في السريانية : رحمن وأطلس ، ومن الفارسية : دستور وبرهان ، ومن اليونانية :فلسفة وأسطول ومن اللاتينية : إسطبل وقنطار ومن الفرنسية : سكرتير ومليون، ومن الإيطالية : كمبيالة وقرصان ،ومن الإسبانية : ريال وكنارى ، ومن التركية : ترسانة ، قفطان ، انظر في ذلك : اللغة العربية تأثرها بلغات الأمم وتأثيرها فيها ، قسطنطين تيودورى 126-127 .
(3) الجمهرة 1 / 46.
(4) العين 1 / 59 .
(5) جمهرة اللغة 1 / 51 .

– بها صوت السين وهو مستحسن عند ابن دريد للينه ودخوله في أصل البناء الرباعى مغنياً عن أصوات الذلاقة ، كما سنوضح بعد قليل .

– بها صوت الهاء وهو صوت ضعيف مهتوت استحسنه الخليل " للينها وهشاشتها ، وإنما هى نفس لا اعتياص فيه " [2] .

وقد قال ابن جنى عن الهاء : " ومن الحروف المهتوت وهو الهاء وذلك بما فيها من الضعف والخفاء "[3]، كذلك يعد المعاصرون الهاء في صفاته قريبا من أصوات اللين " حيث يتخذ الفم عند النطق بالهاء نفس الوضع الذى يتخذه عند النطق بأصوات اللين "[4] .

ويقول أستاذنا د . رمضان عبد التواب ".. ولولا هذا الحفيف الذى يحدث بمنطقة الأوتار الصوتية لما سمع غير صوت الزفير العادى ، كما أن انعدام الذبذبات هنا هو الذى يميز الهاء عن الحركات "[5] ، وكل ذلك ربما دل على خفتها.

– التاء وهو صوت من مجموعة أصوات المخارج الأمامية التى تسهل وتخف على اللسان مقارنة بغيرها من أصوات المخارج الخلفية ، ويعده علماء التجويد من الأصوات الضعيفة لتغلب صفات الضعف فيه على صفات القوة[6].

– أما الهمزة فإن طبيعتها النطقية لا تعدها من أخف الحروف بعكس ما ذكره ابن دريد ، وبالرغم من ذلك فإنها في زيادتها لا تزاد إلا أولاً وقد ذكرنا من قبل أن نطق الهمزة أولاً أخف من نطقها وسطا أو متطرفة يدلنا على ذلك أنها لا تخفف في الابتداء .

---

(1) الأصوات اللغوية 30 .
(2) العين 1 / 61 .
(3) سر صناعة الإعراب 1 / 74 .
(4) الأصوات اللغوية 89 .
(5) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى 58 – 59 .
(6) التجويد والأصوات د 0 إبراهيم نجا 77 .



obeikandi.com

ومن الطريف في ذلك أن شيوع الهمزة في كل ألف من أصوات القرآن الكريم بلغ ( 72 مـرة ) كرابع صوت بعد اللام ( 127 مرة ) والميم ( 124 مرة ) والنون ( 112 مرة ) [1] لذا يعد كثـير الشـيوع في اللغة العربية طبقا للإحصاءات الحديثة .

وإن دل ذلك كله على شيء فإنما يدلنا على أن اللغة العربية متميزة في فصاحتها وانطلاقهـا عـلى اللسان أكثر من اللغات الأخرى ، عندما رفضت تلك الأبنية الرباعية والخماسية بدون أصوات ذلقية في حين قبلتها اللغات الأخرى كذلك عندما زادت أبنيتها الأصلية لم تقبل إلا ما خف من أصواتها .

***

**2 – أقوى الحروف وألينها :**

تتبع المؤلف حديث ابن دريد عن قوة الحروف وليونتها فوجد أن هذا الحديث جاء فى خلال :

– حديث ابن دريد عن قوة أصوات الذلاقة واستحسانه إياها ووصفه لها بأنها أخف الحـروف وفى خلال هذا الحديث تعرض ابن دريد لأبنية رباعية جاءت بدون حروف الذلاقـة ، ولكـن بحـروف أخرى مستحسنة ، أو لينة .

– حديث ابن دريد عن اجتماع الحرفين المتقاربين فى البناء الواحد والبدء بالأقوى منهما .

– حديث ابن دريد عن اجتماع الحرفين المتقاربين في بناءين متتالين والبدء بالأقوى منهما .

ولم يقسم ابن دريد الحروف على قسمين : قويـة وضـعيفة أو لينـة وإنـما أشـار إلى المصـطلحين إشاراتٍ عابرة ذكر خلالها عدة أصوات هنا وهناك وصف بعضها بالقوة وأخرى بالليونة .

قال ابن دريد : " ألا ترى أنك لا تجد بناءً رباعياً مصـمت الحـروف لا مـزاج لـه مـن حـروف الذلاقة إلا بناءً يجعل بالسين وهو قليلٌ جداً مثل عسجد ، وذلك أن السين وجرسها من جوهر الغنـة !! فلذلك جاءت في هذا البناء "[2] .

---

(1) الأصوات اللغوية 239 .
(2) جمهرة اللغة 1 / 49 .

وإذا نظرنا إلى قاعدة المخرج الأمامى السابقة والتى تربط بين مخرج الصوت وسهولته أو صعوبته نجد أن السين من مجموعة الأصوات الأمامية فهى بالتالى صوت سهل النطق مقارنة بالأصوات الخلفية .

وسبق الخليل إلى ذلك لكنه زاد تفصيلات متميزة لم يأت بمثلها صاحب الجمهرة من بعده ، تدلنا هذه التفصيلات على عدم ارتباط استحسان صوت ما – عند الخليل – بموقعه المخرجى كما يرى ذلك المعاصرون وإنما نجد الخليل قد استحسن مجموعة من الأصوات من خلال انطباع ذاتى لا يتقيد بقاعدة معينة .

ففى إطار حديثه عن البناء الرباعى ومجموعة الكلمات التى خلت من حروف الذلاقة يقول الخليل : " وأما البناء الرباعى المنبسط فإن الجمهور الأعظم منه لا يعرى من الحروف الذلق أو من بعضها إلا كلمات نحواً من عشر جئن شواذ ومن هذه الكلمات : العسجد ، والقسطوس والقداحس والدعشوقة والدهدعة والزهزقة ...وهذه الأحرف قد عرين من الحروف الذلق وكذلك نزرن فقللن ، ولولا ما لزمهن من العين والقاف ما حسن على حال ، ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حسنتاه لأنهما أطلق الحروف وأحسنها جرساً ، فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حسن البناء لنصاعتهما "[1]، والخليل هنا له نظرة خاصة في صوتى العين والقاف اللذين جاءا في الكلمات السابقة قد لا يراها غيره .

وإذا كان ابن دريد قد استحسن السين فقط بسبب أن السين لينة وجرسها كما يرى – من جوهر الغنة فإن الخليل قبله قد استحسن السين ، واستحسن غيرها أيضا ، لا لنفس السبب وإنما لأسباب أخرى ، يقول الخليل : " فإن كان البناء [ الرباعى ] اسماً لزمته السين أو الدال مع لزوم العين أو القاف ، لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت عن خفوت التاء فحسنت ، وصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاى ، كذلك فمهما جاء من بناء اسم رباعى منبسط معرى من الحروف الذلق

(1) العين للخليل 1 / 59 – 60 .

والشفوية فإنه لا يعرى من أحد حرفى الطلاقة أو كليهما ، ومن السين أو الدال أو أحدهما ، ولا يضر ما خالفه من سائر الحروف الصتم فإذا ورد عليك شيء'' من ذلك فانظر ما هو تأليف العرب وما ليس من تأليفهم نحو : قعثج، وذعثج ، ودعثج ، لا ينسب إلى العربية ولو جاء عن ثقة لم ينكر ، ولم نسمع به ولكن ألفناه ليعرف صحيح بناء كلام العرب من الدخيل "[1].

ولا يخلو كلام الخليل من التكلف لأنه كلما نظر في كلمة رباعية تخالف قاعدته بحث فيها عن أصوات ليستحسنها فإذا ظهرت له كلمة أخرى من هذا القبيل لا يوجد فيها ما استحسنه من قبل نظر فيها تارة أخرى ليبحث عن حروف يستحسنها من جديد .

ودليلنا على ما قلناه انه في كلامه السابق قد استحسن أولا ( العين والقاف ) ؛ لأنه وجدهما في جميع الكلمات التى أتى بها وتكلمت بها العرب ، ثم نظر مرة أخرى فإذا به يجد صوتى ( السين والدال ) في معظم تلك الأبنية فسارع باستحسانها كما سبق ، ثم أنه لما وجد كلمة أخرى ، أو أكثر فيها ما لم يستحسنه ولو كان صوتاً واحداً جاء بتبرير جديد ، مثل ( دهدق ) التى لا يِوجد فيها إلا ( القاف ) يقول الخليل :" وأما ما كان من رباعى منبسط معرى من الحروف الذلق حكاية مؤلفة نحو[ دهداق ] وأشباهه فإن الهاء والدال المتشابهتين مع لزوم العين أو القاف مستحسن ، وإنما استحسنوا الهاء في هذا الضرب للينها وهشاشتها وإنما هى نفس لا اعتياص فيه "[2].

وبالرغم من أن الخليل استحسن بناء [ دهدق ] لوجود الهاء مع القاف والدال المستحسنتين عنده إذا به بعد ذلك يستحسنها لسبب آخر هو أنها من الحكاية المؤلفة " ولا تكون الحكاية مؤلفة حتى يكون حرف صدرها موافقا لحرف صدر ما ضم إليها في عجزها فكأنهم ضموا إلى [ ده ] [ دق ] فألفوهما ولولا ما جاء فيهما من تشابه الحرفين ما حسنت الحكاية فيهما "[3].

---

([1]) العين 1 / 60 .
([2]) العين 1 60 - 61.
([3]) العين 1/ 61.

والذى حمل الخليل على البحث عن هذه التبريرات المتكلفة هو وجود تلك المجموعة من الأبنية الرباعية وقد خلت من الحروف الذلق وفى نفس الوقت تكلمت بها العرب فهى عربية عنده ، والباحث هنا يعتقد أن هذه الكلمات لو لم تتكلم بها العرب لأنكرها الخليل وبحث عن تبرير لاستقباحها . !!

ودليلنا على ما سبق أنه اخترع عدة كلمات رباعية ليست على تأليف العرب وهى " قعثج ،و ذعثج ، و دعثج " قال عنها ": لو جاء عن ثقة لم ينكر " ، ولو جاءت هذه الكلمات عن الثقات فلربما استحسن الخليل الثاء أو الجيم ! يدلنا على ذلك ما ذكره عن كلمة الهعخع من أنها ردت ولم تقبل لأنها غير معروفة عند أهل البصر والعلم حيث يقول :" ولو كان الهعخع من الحكاية لجاز في قياس بناء تأليف العرب ، وإن كانت الخاء بعد العين لأن الحكاية تحتمل من التأليف ما لا يحتمل غيرها ، لما يريدون من بيان المحكى ، ولكن لما كان الهعخع فيما ذكر بعضهم اسما خاصا ولم يكن بالمعروف عند أكثرهم وعند أهل البصر والعلم منهم فرد ولم يقبل "[1] . وللمعاصرين تفسير صوتى حول كلمة الهعخع سيأتى في حينه بإذن الله .

ونحن هنا لا ننقص من قدر الخليل أو من قدر جهوده وإنما يجب أن نلقى على الأمر نظرة موضوعية ، وليس الباحث وحده من اتهم هذه التبريرات بالتعسف والتكلف ، بل إن د . إبراهيم أنيس يرى أن هذه التبريرات حول تلك الكلمات التى تخالف قاعدة حروف الذلاقة مثل " العسجد" " كلام لا يخلو من التكلف والتعسف"[2].

وخلاصة القول أن ابن دريد قد استحسن صوت [ السين ] فقط ورآه عوضاً عن الحروف الذلقية في البناء الرباعى بينما سبقه الخليل إلى استحسان مجموعة أكبر من الأصوات هى ( ع ، ق ، س ، د ، هـ ) وعرفنا أن سر استحسانه لها ليس إلا عن انطباع خاص به كما يلى :

1- العين والقاف لأنهما أطلق الحروف وأحسنها جرساً ويمتازان بالنصاعة .

---

(1) العين 1 / 61 – 62 .
(2) الأصوات اللغوية د 0 إبراهيم أنيس 110 .

2- السين والدال لأن السين أفضل من أختيها ( ص ، ز ) في المخرج لأنها بينهما، ولأن الدال أفضل من أختيها فى المخرج (ط – ت ) حيث إن الطاء صلبة والتاء خافتة .

3- الهاء للينها وهشاشتها ، حيث أنها نفس لا اعتياص فيه .

ونرى أن هذه التبريرات غير محددة تحديداً دقيقاً وما قيل عن هذه الأحرف قد يقال عن غيرها والظاهر ان ابن دريد قد رأى ما رأيناه في كلام الخليل فلم يذكر إلا السين فقط ولعله اقرب في ذلك إلى ما ذهب إليه المعاصرون من قولهم بأن الأصوات الأمامية عامة اسهل نطقا من الخلفية .

وجدير بالذكر أن ابن جنى قد تأثر بالخليل فنقل أقواله أو بمعناها فقال :" وربما جاء بعض ذوات الأربعة معرى من بعض هذه الستة وهو قليل جدا منه العسجد والعسطوس والدهدقة والزهزقة ، على أن العين والقاف قد حسنتا الحال لنصاعة ولذاذة مستمعها ، وقوة القاف وصحة جرسها ، ولاسيما وهناك الدال والسين وذلك أن الدال لانت عن استعلاء الصاد ورقت عن جهر الزاى فعذبت وانسلت " [1].

وعلى أية حال فإن لهؤلاء الحق في بحثهم عن التبريرات حتى ولو كانت متكلفة ، إذ ما معنى أن الأبنية العربية تسير في طريق السهولة والسلاسة في النطق دائما ثم إذا بهم يجدون فجأة بضع كلمات تخالف القاعدة فلم يكن أمامهم إلا واحد من طريقين :

**1-** أن اللغة العربية لا تسير دائما في طريق الفصاحة ، وهو مرفوض تماماً لارتباطها بالقرآن الذى يسره الله للذكر .

**2-** أن هذه الكلمات لابد أن بها حروفا مستحسنة جاءت عوضا عن حروف الذلاقة وقد كان .

***

([1]) سر صناعة الإعراب لابن جنى 1 / 74 - 75 .



obeikandi.com

وننتقل إلى موضوع **الأقوى من الأصوات** عند ابن دريد ، فعنده أن اجتماع حرفين من جنس واحد في كلمة واحدة له ظروف خاصة حيث أن " من شأنهم إذا أرادوا هذا أن يبدءوا بالأقوى من الحرفين ويؤخروا الألين" [1].

وقد يظن بعضهم أن ابن دريد قد قسم الحروف الأبجدية حسب مخارجها على قسمين قوية ولينة لكنه لم يفعل وإنما جاء لتأكيد كلامه بعدة أمثلة وضح من خلالها بعض الحروف القوية في رأيه وكيف تقدمت في البناء على الألين منها ، وكان ذلك عنده على سبيل المثال لا الحصر ، مما يدل على أن قضية الأقوى والألين عند ابن دريد ناقصة غير مكتملة خاصة إذا علمنا أنها لم تعتمد على قاعدة موضوعية خاصة .

يقول ابن دريد :" قالوا [ ورل ] و [ وتد ] فبدءوا بالتاء مع الدال وبالراء مع اللام فذق ] التاء والدال فإنك تجد التاء تنقطع بجرس قوى وتجد الدال تنقطع بجرس لين ، وكذلك الراء تنقطع بجرس قوى وتجد اللام تنقطع بغنة ويدلك على ذلك أيضا أن اعتياص اللام على الألسن أقل من اعتياص الراء وذلك للين اللام فافهم"[2].

فصاحب الجمهرة هنا يقر بقوة صوتين على صوتين ، [ الراء ] أقوى من [ اللام ]أخيه في المخرج ، و[ التاء ] وهو أقوى من [ الدال ] أخيه في المخرج كذلك ، هذه القوة ليست لها قاعدة موضوعية عند ابن دريد وإنما انطباع ذاتى وأحاسيس نطقية شخصية مما يصعب معه تحديد أيها الأقوى من الأصوات الأخرى صاحبة المخرج الواحد أو المخرجين المتقاربين وأيها ألين منها .

وفى المثالين السابقين اجتمع ( الراء واللام ) ، و( التاء والدال ) ونطق كلاهما ، ولكن ربما حكمت قوانين المماثلة الصوتية داخل بنية الكلمة أن يبدءوا بالأقوى من الصوتين مع إهمال نطق الصوت الأخر ، وهو ما سماه سيبويه بالإدغام ، ولقد أدرك ابن دريد ذلك في قوله :" فتاء الافتعال عند

(1) جمهرة اللغة 1 / 46 .
(2) جمهرة اللغة 1 / 47 0

الطاء والظاء والزاى والصاد والضاد وأخواتها تحول آلى الحرف الذى يليه حتى يبدءوا بـالأقوى فيصـير في لفظ واحد "[1].

كذلك تحكم قوانين المماثلة الصوتية داخل بنية الكلمة الواحدة ان يبدءوا بالأقوى من الصوتين مع تحويل صفات الصوت الألين إلى صفات الصوت الأقوى إثباتا لسيطرته على مجريات النطـق ، وهـو ما أقره ابن دريد عندما قال ": فأما ما فعلوه في بناء واحد فمثل السين عند القاف والطاء يبدلونها صـادا لأن السين إذا اجتمعت في كلمة مع الطاء أو مع القاف أو مع الخاء فأنت مخـير إن شـئت جعلتهـا صـاداً وإن شئت جعلتها سينا ولـيس هـذا في كـل الكـلام قـالوا : سراط وصراط ، وسـقر وصـقر ، وسـبخة وصبخة ، وسويق وصويق ، ولم يقولوا : الصوق بدل السوق إلا أن يونس بن حبيب ذكر انه سـمع مـن العرب الصوق بالصاد ، والغين إذا اجتمعت مع السين في كلمة فربما جعلوا السين صادا والصـاد سـينا قالوا : سوغته وصوغته ، وقالوا : أصبغ الله عليه نعمه وأسبغها .... " [2] .

ومما سبق يظهر لنا أن ابن دريد يرى بقوة هذه الأصـوات عـلى مثيلاتهـا مـن نفـس الجـنس أو المجموعة المخرجية : ( ص ، ض ، ط ، ظ ، ز ) هذه المجموعـة أقـوى مـن ( التـاء ) ، كـذلك مجموعـة أصوات الاستعلاء عند اجتماعها بالسين تحولها إلى صاد لأنها جميعا اقوى من السين وهى أصـوات (ص ، ض ، ط ، ظ ،غ،خ،ق).

ومما أشار إليه ابن دريد في مجال الأقوى أصوات الحلق واجتماع حرفين منهـا ، يقـول : " وأمـا حرفان فقد اجتمعا في كلمة مثل ( أخ ) بلا فاصلة ، واجتمعا في ( أحد ) و ( أهل ) و ( عهد ) (ونخـغ ) غيران من شأنهم إذا أرادوا هذا أن يبدءوا بالأقوى من الحرفين ويؤخروا الألين "[3] .

---

(1) جمهرة اللغة 1 / 51 0
(2) جمهرة اللغة 1 / 51 0
(3) جمهرة اللغة 1 / 46 0



obeikandl.com

نفهم من ذلك أنه يرى أن صوت الهمزة أقوى من الخاء والحاء والهاء ، وصوت العين أقوى من الهاء ، والخاء أقوى من العين ، وفى كل ذلك لا توجد قاعدة نطقية ( صوتية ) خاصة توضح القوى لماذا كان قويا ؟ واللين لماذا كان لينا ؟ إلا ما ذكرناه من قبل .

وأشار صاحب الجمهرة إلى انطباق قاعدة البدء بالأقوى على البناءين ومازال على عهده الأول من عدم إتيانه بضابط أو قاعدة ويقول : " ومما يدلك على أنهم لا يؤلفون الحروف المتقاربة المخارج أنه ربما لزمهم لذلك من كلمتين أو من حرف زائد فيحولون أحد الحرفين حتى يصيروا الأقوى منهما مبتدأ على الكره منهم ، وربما فعلوا ذلك في البناء الأصلى ، وأما ما فعلوه من بناءين مثل قوله تعالى جل ثناؤه: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [1]لا يبينون اللام ويبدلونها راء لأنه ليس في كلامهم ( لر ) إلا أنهم قد قالوا ورل وهو دويبة صغيرة أصغر من الضب وأرل وهو جبل ... فلما كان ذلك أبدلوا اللام فصارت مثل الراء ومثله ( الرحمن الرحيم ) لا تستبين اللام عند الراء ، وكذلك فعلهم فيما أدخل عليه حرف زائد وأبدل "[2].

وهو هنا يرى ما ذكره من قبل من قوة اللام فيبدءوا بها حتى لو جاء الصوتان في بناءين .

نخرج مما سبق بمجموعة الأصوات التى عدها ابن دريد أصواتاً قوية فى مقابل الأصوات اللينة التى ذكرها وهى كما يلى :

| أصوات قوية | أصوات لينة |
|---|---|
| ء | هـ – خ – ح |
| ع | هـ |
| خ | ع |
| ر | ل |

(1) سورة المطففين 83 /84 0
(2) جمهرة اللغة 1 / 51 0

| | |
|---|---|
| ظ ط ض ص ز | ت |
| ص ض ط ظ غ خ ق | س |
| ت | د |

ولقد لاقى كلام ابن دريد قبولا عند اللاحقين فقد ردد ابن جنى كلام ابن دريد وان لم ينسبه إليه حيث قال : " حروف الحلق هى من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف فإن جمع بين اثنين منها قدم الأقوى على الأضعف نحو أهل واحد و أخ وعهد وعهر وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم الأقوى منها نحو أرل ووتد ووطد ، يدل على أن الراء أقوى من اللام أن القطع عليها أقوى من القطع على اللام ، وكأن ضعف اللام إنما أتاها لما تشربه من الغنة [ !! ] عند الوقوف عليها ولذلك لا تكاد تعتاص اللام ، وقد نرى إلى كثرة اللثغة في الكلام بالراء ، وكذلك الطاء والتاء هما أقوى من الدال ، وذاك لأن جرس الصوت بالتاء والطاء عند الوقوف عليها أقوى منه وأظهر عند الوقوف على الدال"[1].

***

**بين ابن دريد والمعاصرين:**

من الملاحظ على كلام ابن دريد عن الأقوى من الأصوات أنه بحث مسألة الأقوى من الصوتين في مواضع خاصة من خلال الأصوات ذات المخرج الواحد أو المخرجين المتقاربين ،ولم يبحث جميع الأصوات بصفة عامة .

كذلك يتبع هذه القضية مسألة أخف الحروف وأسهلها نطقا والتى ترتبط بمخارج معينة وهى مجموعة أصوات الذلاقة إضافة إلى صوت السين .

ولقد ناقش الباحث فيما سبق مسألة أخف الحروف وأحسنها امتزاجا بغيرها عند المعاصرين ، والآن نتعرض موضوع الأقوى من الأصوات عند المعاصرين

(1) الخصائص لابن جنى 1 / 54 0

سار علماء التجويد القدماء والمعاصرون أيضا على نسقٍ واحد في تحديد أسباب القوة في الصوت المفرد ، واتبعوا في ذلك قاعدة عامة بخلاف ابن دريد الذى لم يخط فى مسألة الأقوى من الأصوات قاعدة عامة ، هذه القاعدة تعتمد على تقسيم صفات الحروف إلى صفات قوة وصفات ضعف كما يلى :

**1** - صفات قوة وهى : الجهر والشد ة والاستعلاء والإطباق والإصمات

**2** - صفات ضعف وهى : الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والذلاقة .

فإن زادت صفات القوة على صفات الضعف كان الصوت قوياً وإلا كان ضعيفاً ، يقول د . إبراهيم نجا : " ويجدر أن نعلم أن كل حرف لابد أن يتصف بخمس من الصفات المتقابلة وأنه يحكم عليه بالقوة إذا غلبت عله صفات القوة وبالضعف إذا غلبت عليه الصفات الضعيفة "[1].

وعلى الأساس السابق نستطيع أن نقسم الأصوات على مجموعتين كما يلى:

**1-** أصوات ضعيفة وهى : ( ب م ف ت ذ ث ل ر ن س ز ش ك خ ع ح هـ ى و ) .

**2-** أصوات قوية وهى:( د ط ض ظ ص ج ق – الجيم المصرية[ g ] –غ).

ويلاحظ أن صوت الهمزة قوى عند القدماء لأنهم وصفوه بالجهر وطبقا لهذه القاعدة فهو ضعيف عند من يقول بهمس الهمزة من المعاصرين !!

ولما كانت قضية البدء بالأقوى عند ابن دريد ترجع فى معظمها إلى قانون المماثلة الصوتية فإن المعاصرين يؤيدون ذلك تماما ، ويلاحظ أن اللغة العربية أن التأثير الغالب فيها هو الرجعى ومن هنا يذكر د. عبد الصبور شاهين أن " سبب حدوث المماثلة بين الأصوات فى الإدغام الرجعى منحصرة فى القوة "[2]

---

(1) التجويد والأصوات د 0 إبراهيم نجا 77 وانظر دراسات في أصوات اللغة العربية د 0 يحى الجندى 72 .
(2) أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى د. عبد الصبور شاهين 238 .

ويحدد د . شاهين صور هذه القوة – التى لم يذكرها ابـن دريـد – فقـال ! " والقـوة تتحقـق في صورتين :

**1-** قوة ذاتية في الصوت المؤثر ناشئة عن اشتماله على عناصر صوتية اكثر من الصوت المتأثر .

**2-** قوة موقعية حين يكون الصوت المؤثر بداية مقطع في حين يحتل الصوت المتأثر نهاية المقطـع السابق هذا إلى أن هناك عاملاً أساسيا هو التقارب بين الصوتين أو تجانسهما "[1].

كذلك يربط د . أنيس بين قوة الصوت وبين ما يحدث فيه من جهد أثنـاء النطـق لـذلك فـإن " البيئة البدوية تميل آلي الأقوى من الأصوات " [2] وذلك يتلاءم وطبيعتهـا من الخشـونة والغلظـة وعـلى ذلك فإن الأقوى من الأصوات عند د . أنيس : " الشديد والمجهور والمطبق والواضح في السمع "[3] .

وقياسا على ما سبق يتضح لنا صحة معظم ما جاء به صاحب الجمهرة عندما قرر ما يلى :

**1-** الهمزة أقوى من الهاء والخاء والحاء لذلك تقدمت عليهم في ( أهل وأخ وأحد على الترتيـب ) ، وباعتبار أن الهمزة مجهورة عند القدماء بالإضافة إلى أنها صوت شديد مسـتثقل مصـمت يخـرج مـن أبعد المخارج ولجأ معظم الناطقين إلى تسهيله فهو إذن صوت قوى مقارنة بأصوات ( هـ ، خ ، ح ) التى غلبت عليها صفات الضعف ( الهمس – الرخاوة – الانفتاح بالإضافة إلى الاستفال في الهاء والحاء ) .

**2-** العين أقوى من الهاء فسبقت في ( عهد ) وذلـك لأن العـين مقارنـة بالهـاء قـد غلبـت فيهـا صفات القوة لأنها ( مجهورة – تصل إلى درجة التوسط ) ومن ثم فهى أوضح في السمع أكثـر مـن الهـاء ذلك الصوت الضعيف الهش الذى جمع معظم صفات الضعف ( الرخـاوة التـى تقـر بـه مـن العلـل – الهمس – الاستفال – الانفتاح ) .

**3-** الخاء أقوى من العين فسبقت في ( نخع ) ، وتتساوى الخاء والعين في عدد الصـفات القويـة والضعيفة فجمعت الخاء من صفات القوة ( الاستعلاء والاصمات ) ، وجمعت العين من صفات القوة (

---

([1]) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربى 238 .
([2]) في اللهجات العربية د . إبراهيم أنيس 91 .
([3]) في اللهجات العربية 91 .

الجهر والإصمات ) . لكن العين بطبيعتها ربما كانت ألين من طبيعة الخاء لما في الخاء من الاستعلاء ، بالرغم من أن القياس يقضى بقوة العين لما فيها من الجهر الذى يزيدها وضوحا في السمع ، كذلك المخرج المتأخر للعين داخل جهاز النطق ومن ثم فهى أكثر إصماتا .

**4-** الراء أقوى من اللام لذلك تقدمت في ( ورل) و( أرل ) ويتساوى الصوتان في جميع صفاتهما والتى تقضى طبقا لما سبق وضعهما في قائمة الأصوات الضعيفة هذه الصفات هى : ( الميوعة والسيولة أو التوسط بين الشدة والرخاوة - الجهر- الاستفال – الانفتاح – الإذلاق ) أضف إلى ذلك وضوحهما فى السمع لما فيهما من شبه بالحركات .

وبالرغم من ذلك فإن الراء أقوى من اللام بالفعل لما فيها من طبيعة نطقية وهى ( التكرار ) تقتضى أن يكرر طرف اللسان ضرباته لمقدمة اللثة عدة مرات حين النطق بها ، ومن أجل هذه الصفة نستطيع أن نجزم أن الراء من الحروف القوية عامة وليست من الحروف الضعيفة ، كما سبق أن ذكر ذلك علماء التجويد ، والدليل على ذلك أنها تساوت مع أصوات الإطباق في تأثيرها على الأصوات المجاورة لأنها " تميل إلى تفخيم الأصوات المجاورة لها " [1].

**5-** الزاى أقوى من التاء لذلك عندما تتقدم عن تاء الافتعال تؤثر فيها عن طريق قانون المماثلة فتحولها من حالة الهمس إلى مقابلها المجهور ، وكلا الصوتين عند علماء التجويد من الأصوات الضعيفة ، حيث زادت صفات الضعف فيهما–(الاستفال والانفتاح والهمس ) في التاء و(الاستفال والانفتاح والرخاوة ) في الزاى – على صفات القوة ( الشدة و الإصمات في التاء ، والجهر والإصمات في الزاى ) ، لكننا نؤيد ابن دريد في أن الزاى أقوى من التاء لما فيها من صفة الجهر التى تزيدها وضوحا في السمع أضف إلى ذلك أنها من الأصوات الصفيرية .

(1) التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه د 0 رمضان عبد التواب 48 .



obeikandi.com

**6-** أصوات الإطباق ( ص ض ط ظ ) أقوى من التاء ، وأصوات الإطباق والاستعلاء ( ص ض ط ظ غ خ ق ) أقوى من السين ، لذلك فتاء الافتعال تتحول إلى نظيرها المطبق وهو الطاء وتتحول السين إلى نظيرها المطبق وهو الصاد تحت تأثير تلك الأصوات .

وهذه حقيقة مؤكدة فبالنسبة للأصوات الإطباق عامة فإنها أقوى مما عداها من الأصوات جميعها لسببين :

* تجمع من صفات القوة أكثر من صفات الضعف ففى صوتى الصاد والضاد العتيقة : الاستعلاء والإطباق و الإصمات ، وفى الطاء الشدة والاستعلاء والإطباق و الإصمات وفى الظاء الجهر والاستعلاء والإطباق و الإصمات .

* تتسم هذه الأصوات بتعقيد المخرج حيث يوجد أكثر من فاعل في نطقها ، فعند نطقها يضاف إلى ما يحدث في مخرجها حالة أخرى هى ارتفاع مؤخرة اللسان تجاه الطبق ، وهذا التعقيد مجهد لأعضاء النطق مقارنة بغيرها.

والقاف والغين والخاء مقارنة بالسين تعد أقوى منها لأن السين صوت ضعيف ( مهموس – مستفل – منفتح – رخو ) ، والقاف صوت قوى ( شديد – مستفل – مصمت ) ، والغين صوت قوى لأنه ( مجهور –مستعل – مصمت ) ويضيف إليه عنصر الجهر وضوحا فى السمع والخاء أقوى من السين لأن صفات الضعف فيها أقل من صفات الضعف في السين فهى صوت مستعل أضف إلى ذلك أن الخاء صوت مصمت بينما السين عند ابن دريد مصمتة لكنها لينة يجوز أن تأتى في البناء الرباعى عوضاً عن أصوات الذلاقة .

وربما أخذ على ابن دريد أنه عد التاء أقوى من الدال لذلك سبقت في (وتد) وذلك لأن القياس يقضى بأن تكون الدال أقوى ، حيث إن الدال صوت ( شديد مجهور مصمت ) بينما التاء صوت ( شديد مصمت فقط ) فالدال تميزت بالجهر عن التاء وهذه الصفة تضيف للصوت وضوحا أكثر فى السمع لذلك نجد في بعض اللهجات(ودّ).

***

**نظرة إحصائية في القرآن الكريم :**

انطلاقا من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر 54/ 17 ) ، ولأن القرآن الكريم قد يسره الله سبحانه وتعالى للذاكرين ففى ألفاظه سهولة وانطلاق ولذا فهو رب الفصاحة والبلاغة ، بل يعد مقياسا لها ومن هنا فإننا سنتخذ من القرآن الكريم وسيلة نقيس بها مدى صدق ما جاء به ابن دريد فيما يخص أخف الحروف وأحسنها امتزاجاً بغيرها وكذلك ألين الحروف عنده عامة .

لذلك سوف ننظر في الكلمات الأعجمية في القرآن الكريم والتى زادت حروفها على ثلاثة أحرف ، ولن نعتد بما إذا كانت أصلية أم بها أحرف زيادة لأن الذى يهمنا هو النطق لا الصرف حيث إن المقاييس التى نحن بصددها صوتية فى المقام الأول .

وقد اخترنا الكلمات الأعجمية خاصة [1] ، لأن الكلمات العربية في القرآن الكريم وفى غيره تخضع تماما لمقاييس ابن دريد ، ولا خلاف عليها أما الخلاف في الفصاحة فيقع على الألفاظ التى قيل بعجمتها فى القرآن وبما أن القرآن رب الفصاحة والبلاغة فانه مقياس دقيق لذلك إذ لابد وأن تلك الكلمات قد جاءت في القرآن فصيحة بدون أى جدال .

وسوف نورد فيما يلى جدولا بذلك مع ملاحظة أن مقاييس ابن دريد من خلال الحروف الخفيفة التى أتى بها :

– حروف الذلاقة ( فر من لب ) – الحروف المستحسنة حرف ( س) ، حروف سألتمونيها ، وزاد الخليل في الحروف المستحسنة (ع، ق ، د ، هـ ) وسندرج ما ورد من كلمات تتبع هذه الزيادة عند الخليل لنقارن مدى توفيق ابن دريد في قصره الحروف المستحسنة في البناء الرباعى على السين فقط :

(1) اعتمد المؤلف في رصد هذه الكلمات التى ستأتي في الجدول ونسبتها للغتها وأرقامها في المصحف على كتاب : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث للدكتور عبد الصبور شاهين ( 313- 321 ) مع ملاحظة أن هناك كلمات تنسب إلى لغتين .



obeikandi.com

| أنواع الأصوات / اللغة | كلمات بها أصوات ذلقية | كلمات بها أصوات مستحسنة | | كلمات بها حروف الزيادة عدا ما سبق | غير ما سبق |
|---|---|---|---|---|---|
| | | عند ابن دريد | عند الخليل | | |
| الحبشية | جهنم 2/ 6.2 – مشكاة 24/ 35 تابوت 2/ 248قسورة 74/ 51 أرائك 83/ 24 حواريون 3/ 52 سنين 95/ 2 | | أخدود 85/ 4 طاغوت 5/ 60 صواع 12/ 72 | – | – |
| السريانية | موسى –إسماعيل 2/ 125 قنطار 3/ 75 –الكرسى 2/ 255 قيوم2/ 255 – مهيمنا 5/ 48 – إبراهيم 87/ 19 –أسباط 7/ 6. | يسى 2/ 87 | – | – | – |
| العبرانية | مرقوم 83 / 9– ملكوت 36/ 83– آزر 6/ 74– جهنم 2/ 206 – مريم 19/ 16 | | – | – | – |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| النبطية | تتبـــير 17/ 7- قطنـــا 38/ 16- سفرة 80/ 15 – سيناء 95/ 2 | | – | – | – |
| يونانية أو رومانية | أقلامهم 3/ 44- قنطار 3/ 75 – الفـــردوس 18/ 107 – مرجـــان 55/ 58 | سطاس 17/ 35 | – | – | – |
| الفارسية | دينـــــار 3/ 75- تنـــور 11/ 40 – ســـــجيل 11/ 82 – سرادق 18/ 29 – ســـــــندس 18/ 31 – مقاليـــــد 39/ 64 – برزخ 55/ 20 – أبـاريق 56/ 18 – زنجبـــيلا 76/ 17 – إســـتبرق 18/ 31 – كافورا 76/ 5 | | يـــاقوت 55/ 58 | – | – |
| هندية | ابلعى 11 / 44 – طوبى 13/ 29 | | – | – | – |
| بربرية | إناه 33/ 53 | | – | – | – |
| قبطية | بطائنهـــــــا 55/ 54- مزجاة 12/ 88 | يـــدها 12/ 25 | – | – | – |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| تركية | – | ساق /38 57 | | | |
| مجموعة أخرى لم نجدها منسوبة للغة ما عند د. شاهين. | مجوس 22/ 17– وردة 55/ 37 – قرطاس 6/ 7 –سلسبيلا 76/ 18 –إبليس– إدريس – إلياس– أيوب –جالوت– سليمان– شعيب– طالوت– فرعون– مأجوج– هاروت– ماروت– هارون– هامان– إليسع–يعقوب–يوسف –يونس | سحاق | – | يأجوج | – |

**ونلاحظ على ما سبق ما يلى :**

عدد الكلمات السابقة بلغ (75 كلمة ) منها ( 65 كلمة ) بها صوت ذلقى أو أكثر و( 9 كلمات ) ذات أصوات مستحسنة بمقياس كل من ابن دريد والخليل منها ( 5 كلمات ) بمقياس ابن دريد ، وكلمة واحدة فقط بحروف من ( سألتمونيها ) بخلاف ما ذكر من قبل . ولم ترد كلمة واحدة من غير تلك المقاييس وهذا إن دل فإنما يدل على صحة جميع ما أتى به دريد ودقته .

2– جميع الكلمات الأعجمية السابقة تضم صوتين فأكثر من الأصوات الذلقية والخفيفة بمقاييس ابن دريد بل وصل عدد الكلمات التى تعد جميعها بأصوات خفيفة إلى ( 24 كلمة ) بمقياس ابن دريد وهو عدد ليس هيناً .



obeikandl.com

3- استحسن ابن دريد السين فقط في البناء الرباعى بينما استحسن الخليل (ع- ق- د- س- هـ) وبالمقارنة نجد ما يلى :

| الصوت | عدد مرات وروده في قسم الذلاقة | النسبة المئوية | مرات وروده في قسم الأصوات المستحسنة | النسبة المئوية |
|---|---|---|---|---|
| س | 24 ( في 23 كلمة ) | ٪36.9 | 7 ( في خمس كلمات ) | ٪ 78 |
| ق | 13 | ٪ 20 | 4 | ٪44.4 |
| ع | 4 | ٪6.15 | 2 | ٪22.2 |
| هـ | 9 | ٪13.8 | 1 | ٪11.1 |
| د | 5 | ٪7.7 | 2 | ٪22.2 |

وتدلنا هذه القائمة على أن ابن دريد كان أكثر توفيقاً من الخليل عندما عد السين فقط حرفاً ليناً يسد مسد أصوات الذلاقة ، وذلك لعلو نسبة وروده عن بقية الأصوات التى زادها الخليل .

***

**3- أصعب الحروف :**

مما قرره ابن دريد في قضية التفاوت بين الأصوات صعوبة حروف الحلق خاصة عن بقية الحروف حيث قال :" واعلم أنه لا يكاد يجئ في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد لصعوبة ذلك عليهم وأصعبها حروف الحلق"[1] .

ويقصد بحروف الحلق ما اعتبره من أنها ستة أحرف( د هـ ع ح غ خ ) .

(1) جمهرة اللغة 1 / 46.



openkan.com

أما عن رؤية القدماء لمسألة الصعوبة والسهولة " فقد كانوا يشيرون إلى هذه النظرية في ثنايا كتبهم إشارات مبهمة غامضة حين عزوا كثيراً من التطورات الصوتية في اللغة العربية إلى ما سموه ثقل الصوت أو خفته فقد نسبوا الخفة إلى الفتحة والثقل إلى الضمة والكسرة ، وقد نسبوا الثقل إلى الهمزة والكراهية إلى توالى المتحركات في الكلمة الواحدة أو توالى الأصوات المتماثلة ، ثم رتبوا على كل هذا ظواهر لغوية مشروحة ومعروفة في كتب النحاة"[1] .

لذلك فإنا نرى تميز ابن دريد وانفراده بهذا الوصف لحروف الحلق بأنها أصعب الحروف ، ولقد كان لابن جنى من بعده نظره عامة في الحروف السهلة والصعبة حيث يذكر د. محمد فتيح ما يلى :" ذكر ابن جنى صفات تتعلق بالحركات العضلية والأحاسيس الحركية التى تميز الحروف بعضها عن بعض وقد قسم ابن جنى الحروف بالنظر إليها على قسمين :

**أ-** حروف ثقيلة tense وهى العين والحاء والخاء والغين والقاف والكاف والجيم والشين والضاد والراء والطاء والدال والصاد والزاى والظاء والذال والثاء والفاء والباء .

**ب-** حروف خفيفة lax وهى ما عدا ذلك "[2].

ويلاحظ على تقسيم ابن جنى للحروف أنه استثنى حروف الزيادة ( سألتمونيها ) وجعلها حروفاً خفيفة ، وتميز عنه ابن دريد في ذلك حيث عد ابن جنى من الحروف الثقيلة ثلاثة أحرف من حروف الذلاقة وهى ( ر- ف – ب ) ، بينما عد ابن دريد حروف الذلاقة والزيادة جميعا خفيفة .

ويلاحظ أن الهمزة والهاء حلقيان عند ابن دريد وهما أيضا من حروف الزيادة ، وصفهما ابن دريد مرة بأصعب الحروف ، وأخرى باخفها ، فهو قد ناقض نفسه على حين انتبه ابن جنى لذلك حينما استثناهما من الحروف الثقيلة .

---

(1) الأصوات اللغوية 237 .
(2) مبادئ علم الأصوات العام ترجمة د0 محمد فتيح 257 .



obeikandi.com

أما عن مسألة الصعوبة والسهولة في الصوت المفرد فقد اختلف فيها المعاصرون من علماء الأصوات ، وانقسموا في ذلك على ثلاثة اتجاهات :

**1-** اتجاه يرفض مسألة الصعوبة والسهولة في النطق مطلقا .

**2-** اتجاه يقر بمسألة الصعوبة والسهولة في الصوت المفرد وغيره لكنه يرى ان ذلك أمر صعب تحديده .

**3-** اتجاه يقر بمسألة الصعوبة والسهولة في النطق مطلقاً .

وتتبلور وجهة نظر الفريق الأول في أن " ما قد يتصوره البعض من سهولة في نطق صوت من الأصوات أو صعوبة في نطق صوت آخر ليس سوى أثر من أثار العادة اللغوية التى تنطق بهذا ولا تنطق بذاك "[1] .

كذلك يقولون : " إن السهولة والصعوبة أمر نسبى ومن ثم لا يمكن اعتبار هذا النوع من النشاط العضلى اللازم للكلام أكثر عسراً أو يسراً من ذلك النوع ، ومن ذا الذى يدعى أن الدال أو الزاى أكثر سهولة فى نطقها من الذال ثم يتخذ ذلك مبرراً لظهور الذال الفصيحة زاياً أو دالاً فى اللهجة المصرية الحديثة . "[2]!!

ويرفض د. تمام حسان مبدأ القول بالسهولة والصعوبة ، والمفاضلة بين الأصوات ، حيث يرى أن ذلك " مما يلتمس في طبيعة أعضاء النطق فى هذا المجتمع "[3]، وتابعه د. محمد فتيح في هذا حيث يرى أن تلك " أمور نسبية فما هو سهل بالنسبة لأصحاب لغة ما قد يكون صعبا بالنسبة لأصحاب لغة أخرى وذلك لاختلاف العادات الصوتية وهيئات تركيب الأصوات في كل " [4] .

---

(1) اللغة والتطور د0 عبد الرحمن أيوب 34 .
(2) اللغة والتطور 33.
(3) اللغة بين الوصفية والمعيارية 94 .
(4) مبادئ علم الأصوات العام 250.

وأما أصحاب الاتجاه الثانى فيمثلهم قول دى سوسير : "إننا نادرا ما نستطيع تحديد ما يسهل نطقه أو ما يصعب نطقه في كل لغة " [1] ، ثم يرجع ويقول بالحاجة إلى البحث الموسع في ذلك ، " إن قانون الجهد الأقل يتطلب دراسة موسعة ، إنه من الضروري أن نأخذ في الاعتبار معاً وجهة النظر الفسيولوجية ( مسألة النطق ) ووجهة النظر النفسية ( مسألة الانتباه ) " [2] .

وإلى ذلك ذهب د. أنيس عندما قال : " حقا إن من الصعب في بعض الأحيان الحكم على أى من الصوتين أسهل أو أصعب " [3] .

أما الاتجاه الثالث فهو اتجاه عام في معظم الدراسات العربية الحديثة وفى ذلك يرى د . احمد مختار عمر أن " هناك أصواتا أصعب من غيرها فالضاد أصعب من السين ، واللام أسهل من ا لراء ، والكاف أسهل من القاف والمهموس أسهل من المجهور ، ويرى أيضا أن صعوبة الصوت تؤدى إلى قلة استعماله والسهولة تؤدى إلى عكس ذلك " [4] .

كذلك يرى د. كمال بشر هذا المذهب فيقرر مثلا أن " الحركات أصعب فى النطق من الأصوات الصامتة إلى حد ملحوظ " [5] .

وممن يرون أيضا بالسهولة والصعوبة في الصوت المفرد أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب ومثال ذلك عنده أن الأصوات الأسنانية (ذ ث ظ ) " تتطلب إخراج طرف اللسان ووضعه بين الأسنان عند النطق بها ولا شك أن ذلك جهد عضلى تخلصت منه لغة الكلام بنقل المخرج إلى ما وراء الأسنان"[6] .

---

(1) فصول في علم اللغة العام 260 .
(2) فصول فى علم اللغة العام 260 .
(3) الأصوات اللغوية د. إبراهيم انيس 236 .
(4) انظر في ذلك : دراسة الصوت اللغوى 339- 341 بتصرف .
(5) علم اللغة العام – الأصوات د. كمال بشر 137 .
(6) التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه 83 – لحن العامة والتطور اللغوى 45 .



obeikandi.com

ويرى أوكنر o’ connor أيضا أن " صوتى ( m ) ، ( n ) لا يشكلان أى صعوبة للمتحدثين بوصفهما أنفيين مقارنة بأصوات أخرى تشكل صعوبة تتعلق بطريقة نطقها " [1] .

نخلص من ذلك أن اللغة في تطورها عادة ما تميل " نحو السهولة والتيسير فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة وتستبدل بها أصواتا أخرى لا تتطلب مجهوداً عضلياً كبيراً " [2] .

والمؤلف مع الذين يقولون بالتفاوت بين الأصوات سهولةً وصعوبةً مطلقاً ، وذلك يتأتى من الطبيعة البشرية نفسها والتى تميل إلى الاستصعاب والاستسهال عامة ، والنفس تستقبح وتستحسن هذه هى طبيعتها الفطرية هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان هناك تفاوتا في القدرة العضوية لأعضاء النطق فلا نستطيع أن نساوى مثلاً بين دور اللسان وقدرته على الحركة ودور الحلق قليل الحركة ، وكل ذلك ينشأ عن خاصية التمايز داخل العنصر البشرى .

ويؤكد رأينا هذا ما يقوله د . محمد فتيح من أن " اللفظ صوت والصوت منه ما تستلذ النفس به منه ما ينبو السمع عن سماعه " [3] .

أما ما يقال عن العادات اللغوية فإنا لا نرفضه تماماً لكنه لو كان كامل الدقة فلماذا يتدرج نطق الطفل من أصوات إلى أخرى ؟ ولو أخذنا بمبدأ العادة اللغوية هنا لتوقعنا أن ينطق الطفل الأصوات جميعها دفعة واحدة لأنه يسمعها كلها من الوسط المحيط .

ويؤيدنا في ذلك كلام د. أنيس عن نطق الأطفال في البداية للأصوات الشفوية بقوله :" اعتبروا الأصوات الشفوية كالباء والميم من أوائل الأصوات التى يستطيع الطفل النطق بها ، وعللوا هذا بأن الطفل يرى حركة الشفتين حين يسمع الأصوات من أمه وأبيه !! ولكن السر في البدء بنطق هذه الأصوات هو أن عضلات النطق بها هى نفس العضلات التى يستخدمها في الرضاعة "[4].

(1) T. D O’connor , Better English Pronunciation P . 64 - 65
(2) التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه 75 0
(3) مبادئ علم الأصوات العام 254 .
(4) الأصوات اللغوية 218 .

ويذكر د . أنيس بعض الأسباب التى تحدد صعوبة صوت ما كما يلى :

**1-** " الجهد العضلى وهو مشترك بين جميع اللغات مثل الهمزة في اللغة العربية والقاف وأحرف الإطباق .

**2-** " قلة الشيوع " [1] .

**3-** " قد يكون الصوت في ذاته سهل النطق وهو مفرد لا يجاوره غيره من الأصوات فإذا جاور غيره أو وجد في موضع خاص من الكلمة استلزم النطق به في هذا الموضوع الخاص جهداً أكبر " [2] .

أما مسألة الشيوع هذه فإننا نرى أن قلة شيوع الصوت ليست سبباً في صعوبته بل العكس هو الصحيح أى أن كثرة استعمال الصوت على اللسان تجعل فيه طيعًا سهلاً ، وذلك كمن يقرأ كتابا صعبا عدة مرات فإنه على استعداد أن يقرأ غيبا في مرات تالية ، وذلك سوف يؤدى بنا إلى التدليل على صحة ما جاء به ابن دريد من صعوبة أصوات الحلق . ولا ننكر الناحية الأخرى من القاعدة وهى أن صعوبة الصوت ذاته سبب في الإعراض عنه وقلة وروده في النطق.

وعند المعاصرين أصوات الحلق ليست ستة بل اثنين فقط هما ( ع ، ح ) وبالرغم من ذلك فإن ابن دريد لم يجانبه الصواب عندما أقر بصعوبة الأصوات الستة طبقا للنظرية التى ترى " أن الأصوات المرتبطة بالمخارج الأمامية (الشفوية والشفوية – الأسنانية و الأسنانية و الأسنانية اللثوية واللثوية واللثوية الغارية ) أكثر الأصوات شيوعا لسهولة هذه المخارج بالمقارنة مع المخارج الخلفية (المخارج الغارية والطبقية والحلقية والحنجرية ) بسبب قربها من طرف اللسان الذى تسهل ملامسته للمخارج السلبية المرتبطة بهذه الأصوات أو اقترابه منها "[3] .

وبتعبير آخر فإن أصوات المخارج الخلفية ومنها أصوات الحلق ( الستة ) أصعب من أصوات المخارج الأمامية .

---

(1) انظر موسيقى الشعر د. إبراهيم أنيس 28-31 بتصرف .
(2) الأصوات اللغوية د / إبراهيم أنيس 253 .
(3) مبادئ علم الأصوات العام ، أبركرومبى 257



obeikandi.com

ويرى د . أحمد مختار عمر أن الأصوات التى تنتج من المخارج ( 1 – 9 ) عنده [1] " تسمى أصوات أفقية لأن مخارجها أفقية ( تمتد المخارج الأفقية من الشفتين إلى اللهاة ، أما الأصوات التى يتم إنتاجها فى المخرجين ( 10 ، 11 ) فتسمى رأسية لأن مخارجها رأسية ( تمتد من منطقة اللهاة حتى فتحة المزمار ) وتعد الأصوات الرأسية أصعب الأصوات في مجال الفحص وحين فحصت بأشعة إكس لم تكن النتائج واضحة كما كان متوقعا ، وإنما أظهرت فقط الجدار الخلفى للحلق " [2].

وعندما ذكرنا أن قلة الاستعمال ناتجة عن صعوبة الصوت وكثرة الاستعمال تجعله طيعًا سهلاً على الناطقين به ، فان ذلك يؤيده أن الأجانب الذين لا يستخدمون صوتى العين والحاء الحلقيين يشق عليهم نطق هذين الصوتين ، ويقول د . كمال بشر عن الحاء : " الحاء من الأصوات العربية ذات الصعوبة على غير العرب ، وكثير منهم ينطقونها كما لو كانت خاءً ، أو هاءً " [3] .

ويقول أيضا عن العين : " العين في اللغة العربية تمثل مشكلة حقيقة لغير العرب ، ومن النادر أن يستطيع واحد منهم نطقها بصورة صحيحة والحق أن تكوين العين فيه غموض لم يتضح لنا بعد"[4] .

ويذكر د. شوقى النجار أن " الحلق مخرج عصى النطق إذ يشق على المرء استخدام هذا المخرج ، ولهذا نفرت أكثر اللغات من استخدامه ضمن مخارجها ولولا أن هذا المخرج من ضمن مخارج الأصوات التى نألفها لاستخدامها في لغتنا لأدركنا كم تكون صعوبة النطق بأصوات حلقية ، ومع ذلك فإنك تستطيع أن تلمس وتلحظ صعوبتها بالمقارنة إلى غيرها ، فلو انك رددت صوت العين أو الحاء مثلا عشرات المرات لشعرت بإجهاد في الحلق أو بحة لا تشعر بها إذا رددت العدد نفسه لصوت شفوى مثلا ، ولعل هذا هو السبب في قلة استخدامه شيئا ما ، ولو إننا قمنا باستقاء لحصر عدد تردد هذين

(1) ذكر المؤلف في الفصل الأول أن د. عمر جعل المخارج أحد عشر مخرجا ، أدرج ضمنها مخارج الحركات ، وأصوات المخارج من (1-9 ) هي كل الأصوات عدا ( ع –ح ) في المخرج العاشر وهو الحلق ، و( د ، ه ) في المخرج الحادى عشر وهو الحنجرة أو فتحة المزمار ، انظر دراسة الصوت اللغوى 274 .
(2) دراسة الصوت اللغوى 273 .
(3) علم اللغة العام 0 الأصوات د 0 كمال بشر 155 .
(4) علم اللغة العام الأصوات 155 .

الصوتين في اللغات لألفيناهما أقل عدداً من سواهما ، ففى سورة القلم نجد حرف النـون مـثلا قـد تـردد في السورة نحو ثلاثة أمثال حرف العين"[1] .

وباستخدام الأجهزة الصوتية الحديثة يتضـح لنـا وجـه الصـعوبة فى نطـق العـين والحـاء " ولقـد أوضحت الأشعة أن نطق العين يحدث بتضييق كبير في الحلق أى فى المنطقة ما بين الحنجـرة و جـذر اللسـان والذى يطلق عليه العامة " الزور " مع نتوء لسان المزمار إلى الخلف حتـى يتصـل أو يكـاد بالجـدار الخلفـى للحلق ، وفى الوقت نفسه يرتفع الطبق ليسد المجرى الأنفى ، وتحدث ذبذبة للأوتار الصوتية ويحتك الهـواء الخارج من الرئتين بلسان المزمار والجدار الخلفى للحلق عند نقطة تقاربهما ، أما الحاء فهى النظـير المهمـوس للعين " [2] .

وليس تفضيل حركة الفتح لعين المضارع إذا كانت صوتاً من أصوات الحلق ( الستة ) على حركتى الضم والكسر كما هو فى غيرها إلا انتقالا من الأثقل إلى الأخف ، والذى يؤدى إلى هذا التغير هو الصـعوبة في النطق ، حيث كره الناطق الجمع بين ثقيلين ( صوت الحلق مع الضـمة أو الكسـرة ) فخـالف إلى الفتحـة وهى أيسر نطقا .

نخرج من هذا كله إلى صحة ما جاء به ابن دريد من صعوبة أصوات الحلق عنده ( د هـ ع ح غ خ ) بصفة عامة وصعوبة ( ع ح ) بصفة خاصة [3] .

***

**4- أكثر الحروف استعمالا وأقلها فى الاستعمال :**

في محاولة ربما كانت جديدة من نوعها حاول ابن دريد أن يقدم لنا نتيجـة سريعـة لأكثـر وأقـل الحروف استعمالا عندما قال :

---

(1) الأصوات د 0 شوقى النجار 44.
(2) الأصوات د.شوقى النجار 44 .
(3) الهاء صوت ضعيف هش ، وهذا لا ينافى أنه صوت مجهد ، لأنه ليس شرطا ارتباط الضـعف بالسـهولة ، أو القوة بالصعوبة ، والهاء يخرج من مخرج أقصى الأصوات مع الهمزة ، ولهذا البعد المخرجى صعوبة ، ومن ناحية أخرى فهى رخوة " والأصوات الاحتكاكية تحتاج إلى جهد أكبر مما لو كانت انفجارية " كذلك فهى صوت مهموس " والهمس يجهد أعضاء النطق أكثر من أعضاء الجهر " انظر علم الفصـاحة العربيـة 216 0 أما الهمزة فلا خلاف عليها بين القدماء و المعاصرين على أنها صوت شديد مستثقل ، هرب أكثـر النـاطقين إلـى تسـهيله ، أمـا الغـين والخـاء فهمـا طبقيـان عنـد المعاصـرين وإن كـان فيهمـا مـن الرخـاوة والاستعلاء ما يجعلهما أصعب من غيرهما فعلا ، وإن كان القياس يعد القاف أصعب منهما 0

" واعلم أن أكثر الحروف استعمالا عند العرب الواو والياء والهمزة ، وأقل ما يستعملون لثقلها على ألسنتهم الظاء ثم الذال ثم الثاء ثم الشين ثم القاف ثم الخاء ثم الغين ثم النون ثم اللام ثم الراء ثم الباء ثم الميم ، فأخف هذه الحروف كلها ما استعملته العرب في أصول أبنيتهم من الزوائد " [1] .

هذه هى نظرية ابن دريد للحروف من منظور شيوعها ولنا ملاحظات عليها:

1- يربط صاحب الجمهرة مسألة شيوع الأصوات بالخفة والثقل وهذا صحيح من وجهة نظر المعاصرين .

2- يؤخذ على ابن دريد أنه لم يقدم لنا جميع الحروف في ترتيبه بل قدم بعضها فقط .

3- حصر ابن دريد أكثر الحروف استعمالا في ( و ، ى ، ء ) وحيث إنه كان يعد الهمزة في بعض الأحيان صوت عله كالخليل ، وهو يقصد الألف المدية ، فإنه هنا يعد العلل الثلاثة ( واى ) أكثر الحروف استعمالا ، وبالرغم من ذلك سنعامله على أساس أنه عد الهمزة .

4- حصر ابن دريد أقل الحروف فى اثنى عشر حرفا ورتبها ترتيبا منطقيا بدءا من الأصوات الأسنانية .

5- وقع ابن دريد فى متناقضات كثيرة قياسا على آرائه السابقة من هذه المتناقضات :

– بالرغم من أنه ذكر من قبل أن حروف الحلق أصعب الحروف لم يدرج منها هنا ضمن أقل الحروف استعمالا إلا حرفين ( خ ، غ ) !! .

– بالرغم من أنه عد حروف الذلاقة أخف الحروف وأحسنها امتزاجا بغيرها ويرتبط ذلك بكثرة شيوعها في الأبنية العربية إلا أننا نجده هنا قد أتى بخمسة منها ضمن أقل الحروف استعمالا !!.

6- أغلب الظن أن ملاحظات ابن دريد قائمة على التخمين ، ولم تقم على الإحصاء العلمى الدقيق .

---

([1]) جمهرة اللغة 1 / 51 .



obeikandi.com

7- صاحب الجمهرة ذكر حالة شيوع السواكن . والعلل الطويلة في نظره لكنه لم يشر إلى الحركات القصيرة .

وأول الذين ناقشوا مسألة شيوع الحروف قبل ابن دريد هو الجاحظ( ت 255 هـ ) حيث " ينقل الجاحظ عن رجل يسمى ( ديسم ) أنه قال :

أنشدنى أبو محمد اليزيدى : ( بسيط )

**وخلة اللفظ فى الياءات إن ذكرت**

**كخلة اللفظ فى اللامات والألف**

**وخصلة الراء فيها غير خافية**

**فاعرف مواقعها فى القول والصحف**

فيقول : يزعم أن هذه الحروف يقصد [ الياء واللام والألف والراء ] – أكثر تردداً من غيرها وأن الحاجة إليها اشد ، واعتبر ذلك بأن نأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم ، فإنك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد "[1].

والجاحظ هنا يشير إلى أكثر الحروف استعمالا عند العرب وهى ( ى ل ا ر) منها صوتان ذلقيان والألف والياء من أحرف الزيادة وكلها وصفها ابن دريد بالخفة.

ويصف دكتور أحمد مختار عمر ما سبق بقوله :"ومنهج الجاحظ فى هذه التجربة الصوتية يعد أحدث منهج متبع الآن وهو أن يقوم الباحث بأخذ عينة من المادة اللغوية المدروسة ، ثم يجرى عليها تجاربه ، ويقوم باستخلاص النتائج منها ، ثم إصدار الحكم وتعميمه على غير هذه الظواهر المدروسة"[2] .

---

([1]) البحث اللغوى عند العرب د . أحمد مختار عمر 98، وانظر البيان والتبيين للجاحظ 1 / 22

([2]) البحث اللغوى عند العرب 98 .



obeikandi.com

وبالرغم من تميز الجاحظ بتلك الإشارة العلمية والتى لم يستخدمها ابن دريد- فيما نظن- إلا أنه لم يشر إلى أقل الحروف استعمالا مما يؤكد تفرد ابن دريد في هذه النقطة ، كما اختلف ابن دريد عن الجاحظ في طبيعة هذه الحروف الشائعة وعددها .

**والسؤال الآن : من فيهما أقرب إلى الصواب ؟**

وللإجابة عليه نجد أن الدرس الصوتى الحديث بأدواته الإحصائية المتقدمة قد كشف عن أكثر الحروف استعمالا متدرجا فيها من الأعلى إلى الأدنى وذلك باستخدام الإحصاء الرياضى لأصوات القرآن الكريم .

ويشير د. إبراهيم أنيس إلى أن " الأصوات الساكنة زادت فى القرآن الكريم على ثلاثمائة ألف من الأصوات " وباستخدام أساليب علم الإحصاء الحديثة تبين أن " نسبة شيوع اللام 127 مرة فى كل ألف من الأصوات الساكنة ،والميم124 ، والنون112 ، والهمزة 72 مرة، والهاء56 مرة ، والواو52 مرة ، والتاء 50 مرة ، والياء45 ، والباء 43 مرة ، والكاف 41مرة ، وكل من الراء والفاء 38 مرة، والعين37 مرة ، والقاف 23 مرة ، وكل من السين والدال 20مرة ، والذال 18 مرة ، والجيم 16 مرة ، والحاء15 مرة ، والخاء10 مرات ، والصاد8 مرات، والشين7 مرات ، والضاد6 مرات ، وكل من الغين والثاء 5 مرات ، وكل من الزاى والطاء4 مرات ، والظاء3 مرات "[1] .

ويعلق د . أنيس قائلاً " ونحن نرى من النسب السابقة أن اللام والنون والميم تكون مجموعة من الأصوات هى أكثر الأصوات شيوعا فى اللغة العربية ولا يبعد أن تكون هذه الظاهرة شائعة فى كل اللغات السامية "[2] .

**ويتضح مما سبق ما يلى :**

- أكثر الأصوات شيوعا فى اللغة العربية حسب الإحصاءات الحديثة ترتب من الأعلى إلى الأدنى كما يلى:

(1) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس 239 - 240 .
(2) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس 240 .

[ ل م ن ء هـ و ت ى ب ك ر ف ع ق س د ذ ج ح خ ص ش ض غ ث ز ط ظ ] وهذا الترتيب يخالف إلى حد كبير معطيات ابن دريد .

– اللام والميم والنون هى أكثر الأصوات شيوعا يليها ما ذكره ابن دريد ( ء و ى) .

– الأصوات الثمانية الأولى من حروف الزيادة مما يدل على صدق ملاحظة ابن دريد فى هذا الشأن .

– أصوات الذلاقة تقع في أوائل الأصوات مما يدل على أنها كثيرة الشيوع فى اللغة العربية ، ويؤكد الهفوة التى سقط فيها ابن دريد عندما عاد ووضع خمسة منها ضمن أقل الحروف استعمالا .

– الأصوات الأسنانية ( ذ ، ظ ، ث ) تقع فى أواخر الترتيب خاصة الظاء والثاء مما يؤكد صحة ملاحظة ابن دريد حولها ، وكان ترتيبه لها ( ظ – ذ – ث ) لكن ترتيب المعاصرين هو ( ظ –ث – ذ ) بدءاً من الأقل استعمالاً .

– يتبقى ترتيب ابن دريد للحروف ( ش – ق – خ –غ ) ووردت في الترتيب الحديث : (غ ...ش...خ...ق ) وبينها بالطبع حروف أخرى فأقل استخداماً من الغين الزاى والطاء ، ومن الشين الضاد وما سبق ومن الخاء الصاد وما سبق ، ومن القاف ( س ، د ، ذ ، ج ، ح ) وكل ما سبق . .

– يربط ابن دريد بين الخفة والثقل وبين الشيوع ويؤيده في ذلك المعاصرون حيث إن أقل الأصوات شيوعاً تعد من أصعبها والعكس صحيح[1] .

– أغلب الظن أن ابن دريد قد اعتمد على التخمين ولولا ذلك لما وضع حروف الذلاقة هذا الوضع خلافا لمقاييسه السابقة أما الدرس الصوتى الحديث فيرفض التخمين في هذه القضية حيث أنها " تستدعى إحصاء شاملا لكل الأمثلة ، ولا يمكن الاعتماد على التخمين فيها ، فإذا ما تم هذا الإحصاء ربما ساغ لنا هذا الادعاء ونحوه "[2].

(1) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس 239 .
(2) دراسات فى علم اللغة : القسم الأول د . كمال بشر 150 .

***

**شيوع الحركات :**

لم يناقش ابن دريد مسألة شيوع الحركات القصيرة في الكلام انطلاقا من اتجاهٍ عامٍ عند القدماء يقضى بالحكم على تلك الحركات أنها فرعية الدراسة والوظيفة ، وذلك على عكس ما يراه الدرس الصوتى الحديث من أهمية الحركات بنوعيها ، بما يوازى أهمية السواكن ، وهى أصوات " نسبة شيوعها فى كل كلام كبيرة جداً تبرز الخطأ وتجسمه " (1).

وبالنظر إلى تنظيم أصوات اللغة العربية الفصحى المستخدمة ( الحروف الأساسية ) نجد أنه " يتكون من 29 فونيماً أو حرفاً منها 26 صامتاً ومنها 3 لينة وقد تضاف إلى الأحرف الصامتة الواو والياء فى حالات خاصة ليصبح عدد الحروف الصامتة 28 حرفاً ، ويظهر للوهلة الأولى أن عدد الأحرف الصامتة تفوق بنسبة 9 مرات تقريبا عدد الأحرف المصوتة أو اللينة وهذا لا يعنى مطلقا أن الأحرف المصوتة منخفضة فى نسبة تواترها فهى ترد فى النصوص بنسبة 48٪ ( والصامتة 52٪ ) ولكن ذلك يعنى أن اللغة العربية المكتوبة فقيرة فى الأحرف المصوتة وغنية فى الأحرف الصامتة" (2) .

وعن العلاقة بين شيوع الحركات القصيرة والطويلة يذكر د . احمد مختار عمر أنه " لا شك أن الحركة القصيرة أقل حجما وأقصر استمرارية من الطويلة وبنظرة سريعة فى اللغات يتبين أن تردد الحركة القصيرة أكثر من تردد الحركة الطويلة ... وإذا راجعنا قائمة أوزان الثلاثى المزيد من الأسماء فى اللغة العربية فسنجد عدد الحركات القصيرة فيها ضعف عدد الحركات الطويلة ، ويقل أن تجد وزنا يشتمل على حركتين طويلتين أو يخلو من حركة قصيرة" (3).

(1) الأصوات اللغوية 3 .
(2) الألسنية العربية - ريمون طحان 67 – 68 .
(3) دراسة الصوت اللغوى د 0 أحمد مختار عمر 339 .

واهتم الباحثون المعاصرون بتسجيل ملاحظاتهم الإحصائية حول أصوات اللين القصيرة فيذكر د . أنيس أن " نسبة شيوع الفتحة فى اللغة العربية حوالى 460 من كل ألف من الحركات قصيرها وطويلها في حين أن الكسرة حوالى 184 والضمة 146 " (1) .

والسر فى كثرة شيوع الفتحة هو سهولتها عن بقية الحركات السابقة ، ويضيف ريمون طحان لما سبق إحصاءً للسكون وهو190 فى كل ألف من الأصوات المصوتة (2) .

أما الصوت المركب أو الحركة المزدوجة فأقل الأصوات المصوتة وروداً لأنه أصعب الحركات ، يذكر هنرى فليش ملاحظته فى ذلك ويقول : " نجد الفتحة (a) أكثر المصوتات وروداً ويكفى أن نقوم لإثبات ذلك باختبار إحصائى بسيط في القرآن وليكن ذلك مثلا الآيات 5 / 6 – 11 / 12 من سورة البقرة ، ففى هذه الآيات تتكرر الفتحة (110 ) مرات والكسرة ( 42 ) مرة والضمة (50) مرة فإذا كان عدد هذه المصوتات ( 202) فإن النسبة المئوية لورود كل منها هى : الفتحة ( 54.4 ٪ ) ، الكسرة ( 20.8٪) ، والضمة ( 24.8٪ ) أما الصوتان المزدوجان : ( أوْ ) ، ( أىْ ) فلم يرد كل منهما سوى مرة واحدة " [3] .

(1) الأصوات اللغوية د . إبراهيم أنيس 67 .
(2) الألسنية العربية د . ريمون طحان 69 .
(3) العربية الفصحى نحو بناء لغوى جديد هنرى فليش تعريب وتحقيق د . عبد الصبور شاهين 36 .



openkandil.com